﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

[البقرة: 214]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمّا ذكَر اللّهُ تعالى اختلافَ الأمم السّابقة على ما جاءهم به أنبياؤُهم من الحقِّ، وضلالَهم عنه، وذكَر أنَّه هدى المؤمنين إلى الصِّراط المستقيم؛ بيَّن اللّهُ تعالى هنا أيضًا وَعْثاءَ هذا الطّريق الذي هُدوا إليه، وما يكتَنِفُه مِن عقباتٍ، عليهم تجاوُزُها، وشدائِد وَتكاليف عليهم احْتِمالها، والخطاب لأَصْحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ومَن بعدهم من هذه الأمّة بأنّهم لا يَسْتَحِقّونَ الفَضيلَةَ في الدّينِ إلّا بِتَحَمُّلِ هَذِهِ المِحَنِ[1]، فالآية السابقة حدثتنا عن الاختلاف الواقع في الأمم، والاختلاف منشئ للعداوات التي يقع خطرها على الأموال والأنفس، فبيَّنت هذه الآية أن دخول الجنة لايكون إلا باحتمال الشدائد والمضرّات.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَّثَلُ﴾: المَثَل: يدلُّ على مناظرة الشّيء للشّيء، وهذا مثلُ هذا: أي: نظيره، والمِثْل والمثال في معنى واحد، وربّما قالوا: مثيلٌ كشبيه، والمَثَل: المِثْلُ أَيْضًا، كَشَبَهٍ وَشِبْهٍ، والمثَل المضروب مأخوذ من هذا؛ لأنّه يُذكر مُوَرًّى به عن مِثْله في المعنى.

والمثَل: تشخُّص الشّيء قائمًا على هيئة أو صفات معينة، وهو عبارةٌ عن قولٍ في شيء، يشبه قولًا في شيءٍ آخر، بينهما مشابهة؛ لتبيين أحدهما للآخر وتصوّره، نحو قولهم: (الصّيفَ ضيّعتِ اللّبن)، فإنّ هذا القول يشبه قولك: أهملتَ وقت الإمكان أمرك، ولذلك قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: 43]؛ لأنّه لابدّ من تدبّر المثَل والممثَّل له ومطابقةِ ما بينهما.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/371.

والمثَل أعمّ من الشّكل والشّبه، ولهذا لمّا أراد الباري ﷻ نفي التّشبيه عن ذاته المقدّسةمن كلّ وجهٍ خصّه بالذّكر دون بقيَّة الألفاظ المذكورة، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورى: 11]، وجمَع بين كاف التّشبيه ولفظ المِثْل؛ تنبيهًا على إرادة تأكيد النّفي[1].

2) ﴿خَلَوْا۟﴾: الخلوُّ: يدُلُّ على تعرِّي الشّيء من الشّيء، والقرون الخالية: المواضي، والمكان الخَلاء: الذي لا شيءَ به، والخُلُوُّ يُسْتَعْمَلُ في الزّمان والمكان، لكِن لما تُصُوِّرَ في الزّمانِ المُضيُّ؛ فَسَّرَ أهلُ اللّغة: خَلا الزّمانُ، بقولهم: مَضى الزّمانُ، وذَهَبَ.

ومعنى قوله: ﴿خَلَوْا۟﴾: مضَوْا من قبلكم[2].

3) ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾: المسُّ: مباشرة الجسم، ويقال: فيما يكون منه إدراكٌ بحاسّة اللّمس.

ويُكنّى به عن الجماع كالمباشرة والملامسة، قال تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: 237].

ويكنّى به عن الجُنون، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: 275].

والمسّ يقال في كلّ ما ينال الإنسان من أذى، وقد ورد المسّ، بمعنى: إيقاع الضُّرّ ونحوه، كالعذاب والنّفحة منه، والنّار، والسّوء، والشّرّ، والضُّرّ، والطّائف الشّيطانيّ، وهو المعنى السياقي هنا، واللُّغوب، والنَّصَب في أكثر ما ورد في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾، وفيه مبالغة من حيث إنّه جعل البأساء كالجسم، ويستَعمل في الإصابة بمكروه ونحوه، وهو بمعنى إيقاع الضُّرّ كالشَّر[3].

4) ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: الزّلزلة: الحركة الشّديدة جدًّا، ومن ثمّ استعظمها العظيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجّ: 1]، وذلك بالنّسبة إلينا، إذ لا يعظم عنده شيءٌ، وقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: 214]، أي: خُوِّفوا، وحُرِّكوا ... من الزّلزلة: شدّة التّحريك تكون في الأشخاص والأحوال، إشارة إلى ما لقُوا من الأذى، فإنّهم أُزعِجوا، وحُرّكوا بأنواع المصائب والرّزايا من ذلك، والزّلزال عند العرب: الدّواهي العظام، وتكرير لفظه يدلّ على تكرير معناه.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مثل)، والرّاغب، المفردات: (مثل)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (مثل)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (مثل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلو)، والرّاغب، المفردات: (خلا)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (خلو)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (خلو- خلى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مسّ)، والرّاغب، المفردات: (مسس)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (مسس)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (مسس- مسمس).

وهي في الأصل: انزلاقٌ عن الموضع لاستوائه مع ملاسته التّامّة[1].

5) ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾: والنَّصر والنُّصرة: الإعانة والمنَعة، يقال: نصرته، أي: أعنتُهُ على عدوّه، ومنعتُه منه، والنّصر يَدُلُّ عَلى إِتْيانِ خَيْرٍ وَإِيتائِهِ، وَنَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ: آتاهُمُ الظَّفَرَ عَلى عَدُوِّهِمْ، يَنْصُرُهُمْ نَصْرًا، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمّد: 7]، ونُصْرَةُ الله للعبد ظاهرة، ونُصْرَةُ العبد لله هو نصرته لعباده، والقيام بحفظ حدوده، ورعاية عهوده، والقيام بأحكامه، واجتناب نهيه.

وأصل النّصر: الإمدادُ بما فيه زيادةٌ مناسِبةٌ وقوةٌ وعطاء، ومن مَلحظ الإمداد بالزِّيادة والقوّة جاءت النُّصْرة: حُسْنُ المعونة، وإعانة المظلوم، ومعنى المعونة هو: أَشْيَعُ معاني النّصر[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يوجِّهُ اللهُ خطابَه لعباده المؤمنين ألّا يظنّوا أنَّ الطّريقَ إلى الجنَّة خالٍ من الصُّعوبات والعَقَبات فيه، بل هو طريقٌ وَعْرٌ وشائكٌ، محفوفٌ بالعوائقِ والمِحَن والبلايا، مثلما حصَل للأمم قبلهم؛ فقد أصابهم الفقرُ وشدَّةُ الحاجة، وأصابتهم الأمراضُ والأوجاعُ، وخُوِّفوا، ورُعِّبوا مِن قِبَل أعدائِهم بأنواع المخاوف، فأُصيبوا في أموالهم بالبأساءِ، وفي أبدانهم بالضَّرّاء، وفي قلوبهم بالخوفِ، حتّى بلَغ بهم الحال إلى أنْ يتساءَلَ الرَّسُولُ المبعوث والَّذين آمنوا معه: متى سيأتي نصرُ اللهِ؟ وهكذا كلُّ من قام بالحق فإنه يمتحن، وإنَّما هي سنَّة الابتلاء والتَّمحيص، فلمَّا كان الفرج عند الشِّدَّة، وكلما ضاق الأمر اتسع، لا يتخلَّى الله عن أوليائه، فأكَّد لهم أنَّ نصرَه لا محالةَ آتٍ عن قريب، كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: 2 - 3][3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زَلَّ)، والرّاغب، المفردات: (زلّ)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (زلزل)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (زلل - زلزل).

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نصر)، والرّاغب، المفردات: (نصر)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (نصر)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (نصر).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 3/636، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/571، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 33.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

الثَّبَاتُ وَالصَّبْرُ وَعَدَمُ التَّبَرُّمِ مِنَ الشَّدَائِدِ طَرِيقٌ لِنَيْلِ الْجَنَّةِ:

بَلَاغَةُ الِالْتِفَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾: ﴿أَمْ﴾: منقطعة، للإضراب الانتقاليّ، بمعنى: (بل)، وهمزة الاستفهام المقدرة (أأم) للتّقرير والتّوبيخ وإنكار الحُسبان واستبعاده.

والظنُّ المُنْكَرُ والمستبعَدُ أن يظنّ النّاسُ أنّهم سيدخلون الجنّة دون شديدِ الابتلاء، فقال لهم على طريقة الالتفات مِنَ الغيبة إلى الخطاب - وهو أبلغُ -: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، أي: بل أحسِبتم؟[1]، وفي هذا تشجيع للرّسول ﷺ والمؤمنين على الثّبات والصّبر على أذى المشركين، وتهيئة للأمّة، وإعدادها لتحمّل المشاقّ، وعدم التّبرّم مِنَ الشّدائد، لنيل جنّة الله ورضوانه[2].

وهذا التَّركيب ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ ورد في ثلاثة مواضع مختلفة السّياق:

أحدها: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: 214].

ثانيها: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: 142].

ثالثها: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التّوبة: 16].

فآية البقرة جاءت في سياق الصّبر في أرضِ المعْرَكة، وبيان أهمّيّة الثّبات، والبشارة بتحقّق النّصر، وأنّ على المؤمنين أن يصبروا على ابتلاءات الحياة في البأساء والضّرّاء، كما صبر الذين خلوا مِن قبلهم.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/256، والبَيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/135.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 1/499، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 3/340.

وآية آل عمران جاءت في سياق الجهاد، وبيان أهمّيّة الصّبر، والثّبات بعد المعركة، خاصّةً إذا حصلت هزيمَةٌ، كالذي حصل للمؤمنين يوم أُحُد مِنَ الهزيمة والقتل والجراحات، فهي تحثّهم على الثّبات والصّبر على ما جرى لهم.

وآية التّوبة واردةٌ في سياق التّحذير مِنَ النّفاق، وإفشاء الأسرار لِلْأَقَارب، أو الكفار المعاندين لرسول الله ﷺ ، وتشير إلى أهمّيّة السّرّيّة، وكتمِ الأخبار والأنباء قبل المعركة والاستعداد لها.

دلَالَةُ النَّفْي بِـ﴿وَلَمَّا﴾:

الِابْتِلَاءُ مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعَالَى التِي لَا تَتَخَلَّفُ

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ﴾: (لَمَّا): حرف نفي وجزم وقلب، يستمرّ نفيُه إلى الحال، أي: لم يأتِكم بعدُ ما أصابهم، وأصل لَمّا: (لم)، زيدت عليها (ما) النّافية، وفيها معنى: التّوقّع، وهي في النّفي نظيرةُ (قد) في الإثبات، والمعنى أنّ إتيان ذلك متوقّع منتَظَر[1].

وقد عبّر بـ﴿وَلَمَّا﴾ لتأكيد النّفي؛ إذ النّفي بها مشعِر بأنّ السّامع كان يترقّب حصول الفعل المنفيّ بها، فمنفيُّ ﴿وَلَمَّا﴾ متوقّع ثبوته، بخلاف منفيِّ (لم)، وهو أبلغ مِنَ النّفي بـ(لم)؛ لأنّها لا تنفي إلّا الزّمانَ المتّصل بزمان الحال، فيكون النّفيُ بها نفيًا لحصولٍ قريبٍ، أي: حتّى زمن التكلّم، ويُشعر بأنّ حصول المنفيّ بها يكون بعد مدّة[2].

بَلَاغَةُ الْمَجَازِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾:

مِنْ مَقَاصِدِ ذِكْرِ أَحْوَالِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ: الِاعْتِبَارُ وَالِاتِّعَاظُ

جاء التَّعبيرُ عَنِ الحصول بالإتيان بـ﴿يَأْتِكُم﴾ مجازًا على طريق الاستعارة؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ الحاصِلَ بَعْدَ العَدَم يُجْعَلُ كَأَنَّهُ أَتى مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ، والمَثَلُ: المُشابِهُ في الهَيْئَةِ والحالَةِ، وَقَدِ اخْتَصَّ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/256، والبَيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/135.
(2) ابن هشام، مُغني اللّبيب، ص: 1/367، والسّمين، الدّرّ المصون: 1/381، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/315.

لَفْظُ المَثَلِ بِإِطْلاقِهِ عَلى الحالِ الغَريبَةِ الشَّأْنِ؛ لِأَنَّها بِحَيْثُ تُمَثَّلُ لِلنّاسِ وَتُوَضِّحُ وَتُشَبِّهُ، والقَصْدُ مِنْ ذِكْرِ الأُمَمِ السّالِفَةِ هُوَ العِبْرَةُ والمَوْعِظَةُ، والتَّحْذيرُ مِنَ الوُقوعِ فيما وَقَعوا فيهِ بِسوءِ عَمَلِهِمْ، والاقْتِداءُ بهم في المحامد[1].

والمرادُ بقوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ التّوقّع والانتظار لما سيقَعُ؛ إذِ الحالُ أنّه لم يأتِكم مثلُهم بعد، ولم تُبتلوا بما ابتُلوا به من الأحوالِ الهائلةِ التي هي مَثَلٌ في الفظاعة والشِّدّة[2].

وفي الكَلامِ حَذْفٌ، تَقْديرُهُ: مَثَلُ مِحْنَةِ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ[3].

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ المَكْنِيَّةِ في قَوْلِهِ: ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾:

شَرَفُ الصَّابِرِينَ الثَّابِتِينَ عَلَى دِينِهِمْ

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾: قَوْلُهُ: ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ بَيانٌ لِلْمَثَلِ، وَهُوَ اسْتِئْنافٌ بيانيٌّ، كَأَنَّ قائلًا قالَ: فَكَيْفَ كانَ ذَلِكَ المَثَلُ؟ فَقالَ: مَسَّتْهُمُ البَأْساءُ والضَّرّاءُ، وَزُلْزِلوا[4].

وفيه استعارةٌ مكنيّة؛ إذ شبّه المحَن المعبّر عنها بالبأساء والضّرّاء بالنّار في شدّة إيلامها، وحذف المشبّه به، ودلّ عليه بخاصّة من خواصّه، وهي: المسّ، وفي هذا بيان فضيلة الصّابرين الثّابتين على دينهم وأعباء التّكاليف، فمع شدّة المحَن عليهم ظلّوا ثابتين على عقيدتهم[5].

العُدُولُ عَنْ وَزْنٍ إِلَى وَزْنٍ آخَرَ أَكْثَرَ حُرُوفًا:

شِدَّةُ ابْتِلاءِ أَهْلِ الإِيمَانِ لِرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: أي: أُزعجوا إزعاجًا شديدًا شبيهًا بالزّلزلة، بما أصابهم مِنَ الهول والفزَع، وتكريرُ الزّاي واللّام إشعار بتكرير الإزعاج مرّة بعد مرّةٍ، وأصل الزّلزلة في اللّغة: من زَلّ الشّيء عَنْ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/303، 2/313-315.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/215.
(3) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 6/379.
(4) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 6/379.
(5) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/125.

مكَانِه، فإذا قلت: زلزلة؛ فتأويله كرّرت زلزلته من مكانه، وكلّ ما فيه ترجيعٌ، كُرّرت فيه فاءُ التّفعيل، فالمعنى: أنه يكرّر عليهم التّحريك بالخوف[1].

قال ابن الأثير: "اللّفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثمّ نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بدّ من أن يتضمّن من المعنى أكثر مما تضمّنه أوّلًا؛ لأنّ الألفاظ أدلّة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ؛ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه لبيانه، وهذا النّوع لا يستعمل إلّا في مقام المبالغة"[2]، فلفظة ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾ أبلغ من كلّ ما يعبَّر به عن غِلَظ ما نالهم[3].

كما أنَّ في قوله: ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾ استعارةً مكنيَّة، حيث شبَّه أهل الإيمان بالأرض في ثباتها في أغلب الوقت، وإصابتها بالزَّلازل في بعض الأوقات، فَحُذِفَ المشبَّه بهِ ورُمِز له بشيءٍ من لوازمه (زلزلوا).

ويحتَمِلُ أَنْ تكونَ استعارةً تصريحيَّة تبعيَّة في ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾، ويكون المعنى مُتَّجهًا لتشبيهِ أثَرِ الشَّدائد التي تُصيب أهلَ الإيمان بالزِّلْزَال.

والوجهان صحيحَان لا تعارُضَ بينهما، وإن كان الأوَّلُ أَوْلَى؛ لأنَّ الآيةَ سيقَتْ مساقَ بيانِ أقدار الصَّابرين مِنَ المؤمنين، والوجه الأوَّلُ أنسَبُ لهذا.

دِلَالَةُ الِاسْتِفْهَامِ فِي ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾:

شِدَّةُ البَلَاءِ تَحْمِلُ أَهْلَ الإِيمَانِ عَلَى التَّطَلُّعِ إِلَى النَّصْرِ

الذي قاله الرَّسول والمؤمنون معًا هو: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾، وهو استفهامٌ يُرادُ به الاستبطاءُ، ويحتَمِلُ أن ينضمَّ إلى ذلك إرادَةُ الطَّلَبِ دعاءً على جهة الكنايةِ، وجاءهم الجواب: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾، والقول الأوّل مقول المؤمنين، والثّاني مقول الرَّسول، وعلى هذا الوجهِ؛ فالآية الكريمة من قبيل اللَّفّ والنَّشر غير المرتَّب.

فثَمَّ قائلان: الرَّسول والمؤمنون، ومقالتان: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾، و﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾، فوقع اللَّفُّ والنَّشر غيرَ مرتَّب؛

(1) الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/285، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 1/315-316.
(2) ابن الأثير، المثل السّائر: 2/197، وللتوسّع ينظر: الخصائص لابن جنّي في باب قوّة اللّفظ لقوّة المعنى الخصائص: 3/268.
(3) الرّازيّ، نهاية الإيجاز، ص: 158.

وذلك لِحكاية حالِ الشِّدة، وإنَّما حُمِلَتِ المقالتَان على التَّوزيعِ؛ لئلَّا يُنْسَبَ الاستبطاءُ إلى الرُّسُلِ[1].

والأظهَرُ أنَّ ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ مقولٌ للرَّسول والمؤمنين وهو ظاهرُ السِّياقِ، ودلالَةُ الاستفهام على الاستبطاءِ لا تقتضي شكًّا، بل إنَّ الاستبطاءَ يستلزِمُ الإقرارَ بالوقوعِ، إلَّا أنَّ غايةَ ما فيه هُوَ استعجالُهُ[2]، وليس في هذا نسبةُ نقصٍ مَا إلى الأنبياءِ، ولا ما يقدحُ في عِصمَتِهم.

وعبّر بالفعل المضارع ﴿يَقُولَ﴾ تصويرًا لحالهم، وإشارة إلى تكرير ذلك من مقالهم[3].

وفي إضافتهم النَّصرَ إلى الله ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ إشعارٌ بثَبَاتهم على الإيمان، وأنَّ قوَّة الشدائد لم تُزعزع إيمانَهم بأنَّ النَّصْرَ من عند الله تعالى.

سِرُّ تَأْكِيدِ جُمْلَةِ التَّذْيِيلِ:

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾: لمّا كان السّؤال بـ﴿مَتَىٰ﴾ يشير إلى استعلام القرب؛ تضمّن الجوابُ القربَ، واكتفى به؛ ليكون الجواب طبق السّؤال.

تَفْرِيجُ اللهِ تَعَالَى عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ مَعَهُمْ يَكُونُ عِنْدَ انْقِطَاعِ أَسْبَابِهِمْ مِمَّنْ سِوَاهُ

وآثر في تذييل الآيةِ الجملةَ الاسميّة على الفعليّة؛ لتناسبَ الجملةَ قبلَها، وللدِّلالةِ على معنى الثُّبوتِ واللُّزوم.

وفي تصديرها بحرف التّنبيه ﴿أَلَآ﴾ - وهي من المؤكِّدات - و﴿إِنَّ﴾: إشعارٌ بتحقّق مضمونها وتقريره، وفي ذلك: تطييب أنفس المؤمنين باستجابة دعائهم، والبِشارة بقُرب النّصر، وقد بلغت تلك المِحَنُ حدًّا غيرَ معهود[4].

وفي هذا إيماءٌ بأنّ الله سبحانه وتعالى إنّما يفرّج عن أنبيائه ومن معهم بعدَ انقطاعِ أسبابهم مِمَّن سِواه؛ ليمتحن قلوبَهم للتّقوى، فتتقدّس سَرَائِرُهم مِنَ الرّكون لشيء مِنَ الخَلق، وتتعلّق ضمائرُهم بالله تعالى وحده"[5].

(1) إبراهيم الهدهد، اللَّفّ والنَّشر في الذِّكر الحكيم: مواقعه، وأسراره، ص: 89-88.
(2) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 3/40.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/396.
(4) الآلوسّي، روح المعاني: 1/499.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/397.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 3 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-54-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 3 : سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-54-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»